وقد رأى في غسان كنفاني المثقف والأديب والإعلامي والثوري رمزاً للإبداع «عرفته في الخمسينات، كان شاباً واعداً متحمساً فقيراً يتعثر في الليالي لتأمين خبز أسرته. في إبداعه الأدبي معطاء، سيالا يغرف من بحر التجربة ليبدع الصورة الأروع والأصدق، ويعود له الفضل الأكبر في تقديم الأدب الفلسطيني والأدباء الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ودور أهلنا هناك. كانت له باع طويلة في السياسة بما له من دور قيادي في الجبهة، وكان محاوراً ديمقراطياً حين تتفق معه أو تختلف. واستطاع بعقله الشامل أن يقوم بدور إعلامي بارز في إيصال القضية الفلسطينية إلى الرأي العام العالمي، كما أنه كان من المتابعين الجيدين للفكر والفلسفة الغربيين. عبقريته تكمن في قدرته الخارقة على الإحساس باللحظة والتعبير عنها. إنه بأمانة لغز بديع في عقله وطاقته التي لا حدود لها وروحه الفاعلة المتحفزة دوماً للعمل»[٢٣٠].

ومن توجيهاته (إقرؤوا هيجل قبل ماركس، سان سيمون وريكاردو وآدم سميث، ابن خلدون وابن رشد، ولينين وجيفارا وسمير أمين، إقرأوا بنفنستي وتجارب القادة الصهاينة.. هل تتابعون الصحف العبرية وتقرير مراقبة أمن الدولة.. وما آخر ما كتبه شاحاك وعوز، وصدر كتاب لابن شاريت هل ثمة ترجمة عربية أو انجليزية. وماذا يقول المؤرخون الجدد وما بعد الصهيونية، بما ينسجم مع كلمات ادوارد سعيد (في سعينا نحو العدالة لا يكفي أن نعرف أنفسنا، على معرفتنا أن تكون كالرحالة في اكتشاف الآخرين).. أكثروا من قراءة الأدب وأشعار درويش والقاسم وكنفاني والأقلام الشبابية.. إقرؤوا كتاب فيصل دراج «بؤس الثقافة» لما فيه من جوانب مفيدة، فقد تخلفت المؤسسة السياسية والكثير من الطلاء إنما يهدف لإخفاء الخيبات المتلاحقة)[٢٣١].

وهو قوة مثال للكثيرين (الرجل الرسالة الذي جعلني أعيش حالة انخطاف على امتداد زمني الواعي، فكان عنصراً فاعلاً في صنع صفحات من تاريخ أمتنا في مرحلة هبوب رياح التحرر القومي، وعنصراً متصدياً لمرحلة الردة وحراكها الطبقي اليميني، وثائراً طليعياً على الزمان والمكان اللذين نجما عن التطهير العرقي وعذابات شعبنا المشرد، فامتشق راية الكفاح العنيد في زمن الهزيمة والذلة متجشماً ببطولة أسطورية تحديات ومخاطرات أن يكون في المقدمة والاستدارة بشعبنا من طوابير الإعاشة إلى كتائب الفداء في سبيل قضيته العادلة.. وعلى مدار ستة عقود، انغمس الحكيم، بجماع شخصيته، وكما وصفته مجموعة فرنسية (لم نعرف قائداً أخلص وتفانى كما أخلص الحكيم وتفانى) سائراً على الأشواك والألغام في منعطفات شتى، ومخاضات كبرى،

٢٣٠) شربل. مرجع سابق. ص٤٠٩، ٤١٤

٢٣١) قطامش، أحمد، حبش القائد الكرزماتي. هل رحل أم رحل المشروع الذي يمثل. القدس ٢٠٠٨/١/٢٩